

الحياة العلمية في ليبيا من خلال رحلة العياشي (فتاوى أحمد المُكَنِّي نموذجاً)

د. خالد حمزة أبو فارس

كلية الآداب - جامعة المرقب

المقدمة:

شهدت البلاد الليبية نصيباً وافراً من الرحلات تجاوز العشرات من الرحالة المغاربة الذين دونوا رحلاتهم ومذكراتهم بهذه البلاد سواء عند ذهابهم أو إيابهم⁽¹⁾.

ونظراً لموقع هذه البلاد في منتصف المسافة بين أهل المغرب الأقصى ومصر والحجاز فقد كانت محطة راحة بعد عناء سفر كما يحكي صاحب الرحلة القادرية حين يصف اجتماع الركبان من الجانبين بقوله: " وبهذه البلدة . يعني طرابلس الغرب . تجتمع الركبان من كل جانب ومكان: المشرقيون والمغربيون؛ لأن إبان انفصال الحجاج عن مصر هو خروج أهل المغرب من مغربهم، فيحملون للقادمين من الشرق الرسائل والأمانات من الرسائل والثياب والأزواد وغير ذلك ..."⁽²⁾.

وهناك من حاول حصر الرحالة المغاربة الذين زاروا ليبيا وكتبوا عنها على الرغم من صعوبة ذلك؛ لأن الخزائن العامة والخاصة لا تزال مليئة بها؛ إلا أن ما بين أيدينا يتجاوز العشرين ابتداء برحلة أبي بكر العربي الفقيه المالكي مع أبيه إلى المشرق ومرورا بابن جُبَيْر وابن رُشيد والعبدي والتنجاني وابن بطّوطة والقلصادي وانتهاء بالأستاذ السبعي وصاحب الرحلة المعينية في منتصف القرن الماضي⁽³⁾.

ومن خلال اطلاعي على جزء كبير من هذه الرحلات وجدت أنهم قد عنوا بالبلاد الليبية وما شاهدوه ولاحظوه من مُهْضة علمية تتمثل في المدارس والمنارات العلمية في عصرهم وما لقوه من طلبية العلم والشيوخ الذين درسوهم أو درسوا عليهم أو حدثت مناظرات بينهم، وقد خلا جزء قليل منها من ذكر أعلامها ومدارسها ألبتة كالحضيككي، ومنهم من ذكر مدارسها العلمية دون ذكر أعلامها كالقلصادي مثلاً، ومنهم من أفاض في الحديث كالعياشي الذي نُحنفي اليوم بزوايته التي تعتبر . بحق . مفخرة الأطللس الروحية.

(1) ينظر: كتاب "أمير مغربي في طرابلس" للعلامة التازي ص 33.

(2) رحلة القادري في "كتاب ليبيا عبر كتابات الرحالين المغاربة في القرنين 16، 17 م" للدكتور مُجْد الحراري ص 415. 416.

(3) ممن حاول الحصر الدكتور التازي في كتابه "أمير مغربي في طرابلس" ص 33. 43.

والحديث عن البيئة والحركة العلمية في ليبيا مما يغري في متابعة الكلام، حيث إن جل الذين زاروا ليبيا وطرابلس على الخصوص كانت انطباعاتهم متقاربة⁽¹⁾؛ لأن طرابلس لم تكن تضارع الحواضر الكبرى كالقبروان وتونس وفاس، لكنها كانت تسير في الركب بدليل وجود مدارس ينزل فيها الرحالة وتحصل بها المناظرات.

ومن خلال هذه الرحلات يقوم أهل ليبيا . وخاصة علماءها . بإكرام الوفود والعلماء والاستفادة منهم بالتلقي والأخذ عنهم لا سيما أن أكثر علمائها لم تكن لديهم رحلات فأغنتهم عنها فتكون لديهم نصيب من العلم لا بأس به.

ومصدقا لهذا فقد حكى التجاني في رحلته⁽²⁾ عن الإمام أبي إسحاق إبراهيم الأجدابي اللواتي الطرابلسي صاحب كتاب "كفاية المتحفظ" الذي لم تكن له رحلة من بلد طرابلس إلى غيرها، وقد سئل أنى لك هذا العلم ولم ترتحل؟ فقال: اكتسبته من بائي هؤارة وزناتة.

ويذكر في موضع آخر ازدهار الحركة العلمية مثل المدرسة المنتصرية وجامع طرابلس الأعظم وغيرها⁽³⁾.

وهاهو الإمام سحنون التنوخي مؤلف المدونة يعطي شهادتين لليبيبا: شهادة فعل، وهي زيارته ليبيا خلال رحلته إلى الشرق، ولدى عودته سنة 191 هـ مكث أربع سنين في برقة، وهو يدرس العلم فيها⁽⁴⁾.

وشهادة قول، وهي إشارات بقاضي طرابلس "شُرحبيل" ونصحه لابنه مُجَّد بقوله: " إنك تقدم طرابلس، وكان فيها رجال مديون، ومصر وبها الرواة، والمدينة وهي عش مالك، ومكة فاجتهد جهدك، فإن قدمت علي بلفظة خرجت من دماغ مالك ليس عند شيخك أصلها، فاعلم أن شيخك كان مفترطاً"⁽⁵⁾.

(1) أمير مغربي في طرابلس ص 72.

(2) ص 264.

(3) ص 251-252.

(4) ينظر: الرحلة الحجازية للحضيكى ص 90، ونص العياشي في رحلته أنه أخبره ابن مساهل أن سحنون بقي بها ثلاث سنوات، ينظر: الرحلة 139/1.

(5) المدارك 4 / 51.

الفصل الأول التعريف بالعياشي ورحلاته ومن التقى بهم في ليبيا من الفقهاء

قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث كل مبحث ضم عدة مطالب:

المبحث الأول: في ترجمة العياشي:

اسمه: عبد الله بن مُجَّد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى العياشي المغربي الفاسي، أبو سالم⁽¹⁾، الفقيه المتصوف⁽²⁾.

ينتمي إلى قبيلة آيت عياش، وهي قبيلة من البربر تتاخم الصحراء من أحواز سجلماسة بالجنوب الشرقي المغربي⁽³⁾.

ولد أبو سالم عام 1037هـ، ونشأ في كنف أبيه مُجَّد الذي كان من كبار مؤسسي الزاوية الدلائية⁽⁴⁾ فأسس زاوية خاصة به مكنت الابن من تعلم العلم فيها.

شيوخه:

أخذ عن الكثير من الأعلام الذين أدركهم بالمغرب، وكذلك العلماء الذين التقى بهم من خلال رحلات، فبداية تكوينه كما ذكرنا كانت على أبيه مُجَّد وعلى كبار شيوخ وقته كالشيخ عبد القادر بن علي الفاسي⁽⁵⁾ وابن الأبار⁽⁶⁾ ومُجَّد ميارة⁽⁷⁾ وغيرهم من علماء بلده.

(1) كناه القادري في كتابه التقاط الدرر أبا مُجَّد، ينظر: 212/2، ولعله تبع المعهود، فإن من اسمه عبد الله تكون كنيته أبا مُجَّد.
(2) تنظر ترجمته في: التقاط الدرر 212/2، نشر المثنائي 254/2، صفوة من انتشر ص 325، اليواقيت الثمينة في مذهب عالم المدينة للأزهري 186، شجرة النور ص 314، الأعلام للزركلي 129/4.

(3) ينظر: معلمة المغرب 6256.

(4) ينظر التعريف بالزاوية الدلائية في معلمة المغرب ص 4066.

(5) عبد القادر بن علي بن يوسف بن مُجَّد المغربي الفاسي، أبو مُجَّد من كبار الشيوخ في عصره، كانت تصدر عنه أجوبة على أمور على أمور يسأل عنها، فجمعها بعض أصحابه، منها الأجوبة الكبرى والأجوبة الصغرى، و"تعليقات على صحيح البخاري، قرأ على عم أبيه الشيخ عبد القادر بن مُجَّد الفاسي، وعمه العربي الفاسي، وعبد الواحد بن عاشر وغيرهم، توفي سنة 1091هـ، ينظر: اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ص 110، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس لابن عيشون ص 262.

(6) أحمد بن موسى الأبار الفاسي شيخ الجماعة بفاس، وخطيب جامع الأندلس بما قرأ على الشيخ عبد القادر بن مُجَّد الفاسي، والشيخ العربي الفاسي، وعبد الواحد بن عاشر وغيرهم، له شرح على مختصر خليل، توفي سنة 1071هـ، ينظر: اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ص 113، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس لابن عيشون ص 262.

(7) مُجَّد بن أحمد ميارة أبو عبد الله، الفقيه الإمام العلامة، من أهل فاس، أخذ عن ابن عاشر وشاركه في غالب شيوخه منهم منهم أبو الفضل بن أبي العافية وابن عمه أحمد بن أبي العافية وابن أبي نعيم من مؤلفاته الإتيقان والإحكام في شرح تحفة الحكام،

ولم يكتف بالتلمذ على علماء قطره، بل وسع مداركه من خلال رحلاته المشرقية، وأخذ عن كبار العلماء ممن وجددهم في طريقه إلى الحج كالشيخ مُجَّد بن مساهل⁽¹⁾ في ليبيا والشيخ علي الأجهوري⁽²⁾ في مصر وكذلك من لقيهم في أرض الحجاز. تلاميذه:

أخذ عنه الكثير من طلبة العلم في بلده وغيره منهم ابنه حمزة⁽³⁾ وأحمد بن ناصر الدرعي⁽⁴⁾ والحُرَيْشي⁽⁵⁾ وأحمد المكني الذي هو موضوع البحث. مؤلفاته:

لا شك أن رحلاته المتعددة وكثرة مشايخه مكنته من الكتابة والتأليف في عدة علوم أذكر منها: الرحلة الموسومة بـ"ماء الموائد"⁽⁶⁾، واقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر⁽⁷⁾، وإتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء⁽⁸⁾، وتخمس البردة وغيرها من الكتب.

والدر الثمين في شرح منظومة المرشد المعين لابن عاشر، ت: 1072هـ، ينظر: اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ص 114، التقاط الدرر 2/ 151.

- (1) تنظر ترجمته في مبحث " من التقى بهم في ليبيا"
- (2) علي بن زين العابدين بن محمد بن زين العابدين ابن الشيخ عبد الرحمن الأجهوري، أبو الإرشاد نور الدين: شيخ المالكية أخذ عن البدر القرافي وعثمان القرافي، وعنه الكثير كالشمس البابلي وعيسى النعاللي وغيرهما، له تأليف كثيرة منها ثلاثة شروح على مختصر خليل، ت: سنة 1066 هـ، ينظر: اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر ص 119، التقاط الدرر 2/ 138.
- (3) حمزة ابن الشيخ سالم العياشي: من بيت معروف بالعلم والفضل، أخذ عن والده وأجازه الشيخ عبد القادر الفاسي إجازة عامة، وأخذ عنه قريبه الشيخ أبو زيد عبد الرحمن العياشي وعبد السلام التاجوري المعروف بالعالم، ت: 1130هـ، اعتنى بزوايه جده بعد أبيه حتى أصبحت تعرف باسمه، ينظر: التقاط الدرر 2/ 313، شجرة النور ص 336.
- (4) أحمد بن مُجَّد بن مُجَّد بن ناصر الدرعي، فقيه ومحدث، صوفي، ولد في سجلماسة، أخذ عن والده وأبي العباس الجزولي الهشتوكي وعلى العياشي وغيرهم، وأخذ عنه الكثير منهم مُجَّد البناي، ورحل أربع مرات إلى المشرق، تولى الزاوية الدرعية بعد أبيه، من تصانيفه: رحلة المشرق، وكتاب الأجوبة، ت: 1129هـ، ينظر: التقاط الدرر للقادري 2/ 312، شجرة النور ص 332.
- (5) علي بن مُجَّد بن أحمد الحُرَيْشيفالفاقي، أبو الحسن، الفقيه الأصولي، أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي والشيخ أبي سالم العياشي والحسن اليوسي، له شرح على الموطأ وشرح على الشفا وشرح على مختصر خليل، ت: 1145هـ، ينظر: التقاط الدرر 2/ 359، شجرة النور ص 337.
- (6) وقد طبعت أكثر من مرة.
- (7) طبعته جامعة مُجَّد الخامس بالرباط بعناية الأستاذة نفيسة الذهبي، مطبعة النجاح الدار البيضاء 1996م.
- (8) وقد طبعتها دار الغرب الإسلامي بيروت بتحقيق محمود الزاهي عام 1999م،

ومما تجدر الإشارة إليه أن صاحبنا أبا سالم العياشي له كتاب أسماه: "التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز"، وتسمى كذلك "تعداد المنازل الحجازية"، وتسمى أيضا "الحجية الصغرى" (1).

وهذا الكتاب صغير الحجم كتبه لتلميذه أحمد بن سعيد المجلدي، ت: 1094هـ (2)، وهو ينوي الذهاب إلى الحج عام 1068هـ، يُعَرِّفه بمعلم الطريق وأهم المراحل فيها مشيرا عليه بزيارة بعض العلماء والأولياء.

المبحث الثاني: في رحلاته وتاريخها وأهميتها

تاريخها:

كما مر بنا سابقا فقد كان تكوين أبي سالم العياشي في المرحلة الأولى على أيه إلا أنه كان رجلا شغوفا بالرحلة حتى يتسنى له مزيد التمكن من العلم.

وقد سجلت لنا كتب التراجم العديد من رحلاته داخل بلده مثل رحيله إلى الزوايا المغربية، وخاصة الزاوية الناصرية، ورحلاته المشرقية إلى الديار المقدسة، إلا أنني لن أتكلم عن رحلاته داخل بلده مكثفيا برحلاته المشرقية.

فمن خلال تتبع كتابه (ماء الموائد) نجد أنه قد سجل لنا فيه رحلاته المشرقية، وأنه قد رحل ثلاث مرات.

الرحلة الأولى: وقد كانت عام 1059هـ، والرجوع كان سنة 1060هـ (3)، وكان أبو سالم وقتها ما زال شابا لم يدون من هذه الرحلة شيئا، وإنما كانت رحلة قضى فيها مناسكه كغيره من الحجاج كما أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه (4).

ومع ذلك فإن رحلته لم تتخل من تكوين علاقات ومدارسات مع بعض العلماء، فنجده يحكي عن أحد علماء المالكية بالمدينة المنورة: "ومما خاطبته به ونحن بالمدينة المشرفة عام ستين وألف... (5)".

(1) الكتاب مطبوع متداول، بتحقيق عبدالله حمادي الإدريسي طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2013م.

(2) تنظر ترجمته في نشر المتاني 306/2.

(3) ينظر على سبيل المثال كتابه "ماء الموائد" 18/1، 82/1، 90/1، 466/2.

(4) ينظر كتابه "ماء الموائد" 18/1.

(5) م 2 ن 106/2.

الرحلة الثانية: وقد كانت عام 1064هـ، والرجوع كان سنة 1065هـ⁽¹⁾. وفي هذه الرحلة نلاحظ أن شخصية أبي سالم قد ازدادت لمعانا؛ لأنه قد استفاد من الرحلة الأولى، وبالثانية وسع مداركه وأكثر من السماع والرواية وألّف كتابه الكبير: اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر" الذي ضمن أكثر رحلاته هذه في هذا الكتاب⁽²⁾.

وأما الرحلة الثالثة فكانت سنة 1072هـ، والرجوع كان سنة 1074هـ⁽³⁾. وهذه الرحلة هي التي أرتخها وسجل دقائقها بعد أن رجع لبلده وأسمأها ماء الموائد، وتكلم في المقدمة عن سبب التأخير لأنه كان ينوي السفر عام 1069هـ، إلا أن عقارب الفتن التي شهدتها المغرب دعت له لتأجيلها حتى عام 1072هـ⁽⁴⁾.

أهميتها لمن جاء بعدها وثناؤهم عليها:

تعتبر رحلة العياشي . على وجه العموم . مصدرا مهما لمن جاء بعده على مختلف الكتابات، ومرجعا رئيسا لكثير من الرّحّالين والمؤرخين اللاحقين، وعدّها بعض الباحثين المعاصرين دائرة معارف القرن الثاني عشر الهجري⁽⁵⁾.

بل إن ابن ناصر وصف العياشي بأنه إمام المرتحلين في زمانه، وقد أكثر من النقل عنه في رحلته⁽⁶⁾.

وقد عكست رحلته شخصيته العلمية فأظهرت شخصيته الفقهية والأدبية والتاريخية والصوفية، ويظهر ذلك جليا من خلال استقراء الرحلة، ومن خلال ثناء العلماء عليها.

(1) نص عليها على سبيل المثال 2 / 468.

(2) ينظر مقدمة كتاب اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر " ص 100-101.

(3) نص على ذلك في عدة مواضع منها في المقدمة ص 19.

(4) ينظر: مقدمة المؤلف في كتابه ماء الموائد ص 20.

(5) ينظر: ماء الموائد في ليبيا ص 19، دراسة وتحقيق: جماعة من العلماء، دار المعارف الإسكندرية، وكذلك بحث الأستاذ عمار عمار جحيدر الموسوم بـ " عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه " ص 235، وقد نشر البحث في مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الرابع 2006م.

(6) ينظر: رحلة ابن ناصر الدرعي 1 / 73.

نكتفي بما أورده مُجدد بن الطيب القادري صاحب نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني نقلا عن أبي عبد الله المسناوي في رسالته النظرية، حيث قال: "...ورحلته جمّة الفوائد عذبة الموارد غزيرة النبع، جليلة القدر، جامعة من المسائل العلمية المتنوعة لما يفوت الحصر، سلسلة المساق والعبارة، مليحة التصريح والإشارة..."⁽¹⁾.

وأما حديثه عن ليبيا وعلمائها فقد كان شبه المصدر الوحيد الذي أخذ منه كلُّ من جاء بعده سواء أكانوا رحّالة أم أصحاب تراجم.

وقد كانت رحلات من جاء بعده عالية عليه في أكثر نقولهم سواء أكان في وصف المظاهر الجغرافية كوصف المدن والقرى أم في الحياة العلمية كتراجم العلماء والأولياء.

يتبين لنا ذلك من خلال قراءة الرحلات التي جاءت بعده فيما يخص ليبيا كالرحلة الناصرية لصاحبها أحمد بن مُجدد بن ناصر الدرعي⁽²⁾، والرحلة المنالية لصاحبها عبد المجيد بن علي المنالي⁽³⁾، والرحلة الورثيلانية لصاحبها الحسين الورثيلاني⁽⁴⁾ ورحلة ابن الطيب الشرقي⁽⁵⁾.

المبحث الثالث: لقاءه مع فقهاء أهل ليبيا

(1) نشر المثاني 254/2.

(2) مرت ترجمته.

(3) عبد المجيد بن علي المنالي، أبو مُجدد الشهير بالزبادي الشريف الحسني الإدريسي الفاسي أخذ عن أبي عبد الله ميارة الصغير وحج صحبة الولي أحمد الصقلي والهادي بن مُجدد العراقي ولقي أعلاماً منهم الشيخ مُجدد الحفني وتلميذه الشيخ محمود الكردي والشيخ البرناوي له تأليف منها رحلته للحج وله تقايد في التاريخ والتصوف والفقہ. توفي سنة 1163 هـ، ينظر: التقاط الدرر 416415/2، شجرة النور ص 353.

(4) الحسين بن مُجدد السعيد الورثيلاني: رحّالة، مؤرخ وفقهه، ولد ونشأ في قبيلة بني ورثيلان وهي قبيلة قرب بجاية في الجزائر، أخذ عن والده وغيره. ثم رحل إلى المشرق فحج وأخذ عن علماء مصر والحجاز كالشيخ مُجدد بن مُجدد التونسي الشهير بالبليدي، وأحمد بن الحسن الخالدي الجوهري وغيرهما. ثم رجع إلى بلده، له "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" وتعرف بالرحلة الورثيلانية، وهو وصف لرحلته إلى الديار المقدسة سنة 1179 هـ، ت: 1193 هـ، ينظر: معجم أعلام الجزائر ص 340، شجرة النور ص 357.

(5) مُجدد بن الطيب بن مُجدد الشرقي الفاسي: ولد بفاس سنة 1110 هـ، تعلم العلم في بلده وأخذ عن جملة من العلماء منهم والده والده ومُجدد بن عبد القادر الفاسي وأحمد بن مُجدد الدرعي ثم رحل إلى الحجاز وأقام به سنين وأخذ عنه خلق كثير، له عدة مؤلفات منها رحلته ومنها حاشية على القاموس، توفي بالمدينة المنورة 1171 هـ، ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للحسيني 91/4.

لا يشك أي قارئ لهذه الرحلة مدى تفاعل العياشي مع علماء ليبيا في رحلاته الثلاث، فقد دارت بينهم مناقشات ومدارس تطويلة.

كذلك فتاواه الكثيرة في ليبيا وفي طرابلس تحديدا دليل على وجود البيئة العلمية المناسبة. وقد سجّل صاحب تذييل المعيار عبدالسلام بن عثمان التاجوري⁽¹⁾ كثيراً من فتاوى العياشي خصوصا في خاتمة كتابه.

وقد تعمّدت في هذه الورقة البحثية ذكر بعض المشايخ الفقهاء الذين التقى بهم في ليبيا، والذين كانوا محلّ ثناء منه ومن غيره، واخترت ثلاثة منهم على سبيل المثال:
 مُجّد بن أحمد بن مساهل الطرابلسي، ت: 1077هـ⁽²⁾؛
 أبو عبد الله الفقيه الصوفي الفاضل، مفتي طرابلس.

ولد في بطرابلس ونشأ بها وقرأ العلوم على غير واحد من أفاضل عصره، وروى بها وأسمع، ولم تكن له رحلة. كان في من الطلبة المخلصين، ومن كبار الحفاظ الثقة المحدثين، زاهدا ورعا، ومن عباد الله الصالحين. التقى به أبو سالم العياشي وأخذ عنه في رحلته عام 1064 هـ⁽³⁾، وكذلك عام 1072 هـ في رحلة الذهاب⁽⁴⁾، وكذلك في إيباه سنة 1074 هـ⁽⁵⁾.

قال أبو سالم العياشي - رحمه الله تعالى: " وهذا الشيخ I من أحسن من رأينا سمنا ودلا، وأصدقهم قولاً وفعلاً، وله مشاركة في العلوم وحسن اطلاع على فروع المذهب، طالت ولايته للفتوى نحو الأربعين سنة، وحمدت سيرته فيها، وله مع ذلك ميل قوي إلى طريق القوم"⁽⁶⁾.
 توفي سنة 1077 هـ.

أحمد بن مُجّد المُكَنِّي ت: 1101 هـ:

(1) عبد السلام بن عثمان بن عز الدين بن عبد الوهاب بن عبد السلام الأسمر، ولد بتاجوراء بليبيا وتفقه بعلماء بلده كالشيخ مُجّد بن مقبل وأحمد المُكَنِّي وغيرهما، وأخذ عنه الكثير من الطلبة، له عدة مؤلفات منها " تذييل المعيار"، " والإشارات لبعض ما في طرابلس من المزارات، ت: 1139 هـ، ينظر: التذكار لابن غلبون ص 184، أعلام ليبيا للشيخ الزاوي ص 218.

(2) ينظر ترجمته في: الرحلة العياشية 89/1، نشر الثاني 135/2، التقاط الدرر 158/2، أعلام ليبيا للشيخ الزاوي ص 333.

(3) الرحلة 93/1.

(4) الرحلة 89/1.

(5) الرحلة 486/2.

(6) الرحلة 90/1.

وسياًتي الحديث عنه مفصلاً في الفصل الثالث من هذا البحث.

علي بن عاززة الفقيه القاضي المصراطي⁽¹⁾.

أحد علماء مدينة مصراتة، كان جده من أصحاب الشيخ أحمد زروق. لقيه أبو سالم العياشي⁽²⁾ بمصراتة عام 1072هـ، وأعطى لأبي سالم ورقة بخط الشيخ أحمد زروق من شرح الرسالة، ووصفه بأنه أعلم هذا البلد في الفقه، تولى القضاء ثم عزل منه، ولم تذكر كتب التراجم التي اطلعت عليها سنة وفاته.

وفاته:

توفي أبو سالم العياشي شهيدا بالطاعون في شهر ذي القعدة من سنة 1090هـ⁽³⁾.

الفصل الثاني أسرة المكنّي: أصولها وانتقالها وأبرز رجالها

أصولها:

تشير المصادر التاريخية إلى أن أصل عائلة المكنّي من مكنّة، وهي مدينة من مدن الساحل التونسي، تقع قريبة من المهديّة، بينها وبين المنستير⁽⁴⁾.

انتقالها إلى طرابلس:

انتقل الجد المؤسس لأسرة المكنّي إلى مدينة صفاقس التونسية من مدينة المنستير، وأسس في مدينة صفاقس مكانة لعقبه من بعده⁽⁵⁾.

لمحة سريعة عن أهم أعلامها:

يعتبر أبو عبد الله محمد المكنّي من أبرز رجالات العائلة، حيث نشأ في مدينة صفاقس مع أسرته، وعمل بحاراً يعمل على ظهر سفينة حتى ترقى إلى أن أصبح رئيساً وحاكماً لها في أواخر القرن العاشر الهجري.

(1) ينظر: الرحلة العياشية 131/1، نشر المثاني 139/2، التقاط الدرر 244/2.

(2) ينظر: الرحلة العياشية 131/1.

(3) تنظر ترجمته في: التقاط الدرر 212/2، نشر المثاني 254/2، صفوة من انتشر ص 325، اليواقيت الثمينة في مذهب عالم المدينة للأزهري 186، شجرة النور ص 314، الأعلام للزركلي 129/4.

(4) ينظر: المدارك 273/6.

(5) ينظر: المدارك 273/6، ونزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار لمحمود مقيديش 199/2.

جاء حكم أبي عبد الله المكنّي لمدينة صفاقس بعد أن ضعفت دولة الحفصيين وبدأ الانهيار لها جراء تهديد الإسبان لمناطق شمال أفريقية مما مهّد لزعماء القبائل السيطرة على بعض المدن فاستبدّوا بالحكم ومارسوا أبشع الظلم على أهاليها فتهيأت الظروف لبعض الشباب . ومنهم أبو عبد الله مُجَدّ المكنّي . لتكوين جماعة للإطاحة بمؤلاء الظلمة فتمكّن من ذلك وحكمها ثمانية عشر عاما إلى أن جاء الحاكم التركي درغوت باشا الذي رأى أن يعمر طرابلس برجال من هذا البلد كي يصلحوا من أمرها اقتصاديا واجتماعيا⁽¹⁾ .

رحّل الأمير التركي درغوت جماعة من الصفاقسيين تبلغ أربعين عائلة للاستفادة منها في الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية كما مرّ قبل قليل، ومن هذه العائلات عائلة المكنّي . انتقلت عائلة المكنّي إلى طرابلس عام 960هـ مع باقي العائلات برئاسة أبي عبد الله مُجَدّ المكنّي الذي أصبح وزيرا لدرغوت باشا في طرابلس⁽²⁾ .

لا نعرف متى توفي هذا الوزير بالضبط؟ وكذلك عدد أفراد أسرته الذين قدموا معه من صفاقس؟ لكنه يترجح لدينا أن له ابنا اسمه أبو عبد الله جاء مع والده من صفاقس واستقر بطرابلس . عرفنا ذلك من خلال ما أخبرنا به الرحّالة علي التمكروتي، المتوفى: 1003هـ، خلال رحلته إلى الشرق في طريقه إلى تركيا ووصل طرابلس، وقابل أبا عبد الله المكنّي حيث قال: لقينا أي في طرابلس من ينتسب إلى العلم والدين والصلاح فقبهها وخطبها السيد أبا عبد الله، واسمه كنيته أبو عبد الله، أصله من صفاقس بتونس، ثم نقل إلى طرابلس فاستوطنها وصار مفتيها...⁽³⁾ . ويرجح كذلك أن يكون نفس الشخص الذي حكى عنه مقديش وأنه قد كان خارق الشجاعة ومحبوبا عند والده وأنه قد تعرض لمحاولة قتل انتقاما من أبيه⁽⁴⁾ . وهو الذي أخبره . اعتمادا على القاضي عياض . بضبط لقبه "المكنّي" وهو بفتح الكاف مع التشديد، نسبة لمُكَنَّة، وقد أعجب هذا الفقيه بهذه المعلومة⁽⁵⁾ .

(1) ينظر: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار لمحمود مقديش 205/2.

(2) م. ن 206 / 2

(3) النفعة المسكية في السفارة التركية للتمكروتي ص 98، ويسميه القادري في نشر المثنائي مُجَدّا 59/2.

(4) ينظر: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار لمحمود مقديش 202/2.

(5) المدارك 6 / 273.

قال علي التمكروتي: "توفي ... ونحن هناك فجأة من غير مرض بل خرج من منزله إلى الطريق يتكلم مع بعض الناس حتى سقط إلى الأرض وهو قائم فحمل إلى بيته فتوفي في الحين"⁽¹⁾.
وعليه فإن هذا الفقيه ابن هذا الحاكم يكون قد توفي في أواخر سنة 997هـ أو بداية 998هـ، لأن الرحالة التمكروتي نزل بطرابلس يوم السادس والعشرين من ذي القعدة من عام 997هـ، وقد صرح أنه بقي اثنين وأربعين يوماً، وحضر وفاته هناك كما مر، ولا ندري أحصل له في أواخر السنة أم في أوائل السنة الجديدة⁽²⁾.

ومن هنا يعلم أن هذا الفقيه قد عاش أكثر من خمسين عاماً، وذلك لأنه قد عاش في طرابلس 37 عاماً بالإضافة إلى ما عاشه في صفاقس قبلها لا تقل عن خمسة عشر عاماً لأنه قد اتّصف بأوصاف الشجعان كما مرّ، ولا شك أن ذلك لا يكون إلا في عصر الشباب لا في مرحلة الطفولة.

كذلك من أعيان هذه الأسرة وعلمائها عبد الله المكنّي، ولا ندري هل هو ابن أبي عبد الله وهو الأقرب أم أحد أقربائه؟.

أشارت كتب التراجم إلى هذا العَلَم فقد ذكر عبد السلام بن عثمان التاجوري في كتابه فتح العليم⁽³⁾ أن دار المكنّي دار علم وصلاح منذ سيدي عبد الله الذي ثار على من تمرّد على الحكام العثمانيين بزعامة يحيى السويدي⁽⁴⁾ عام 997هـ، وبالتالي فقد أصبح ذا حظوة ومكانة عند الحكام العثمانيين⁽⁵⁾.

كذلك ذكر التاجوري أن عبد الله هذا هو حفيد عبد الله الذي هو أول من جاء من صفاقس لطرابلس⁽⁶⁾.

(1) النفة المسكية ص 102.

(2) م. ن ص 102، ويشير القادري في نشر المئاني أنه توفي في شهر ذي الحجة 2/59.

(3) ص 237.

(4) يحيى بن يحيى السويدي: أصله من المغرب، كان رجلاً في البداية ذا علم وورع، وثار ضد الدولة العثمانية الذي تخلّصت منه وقتلته، ينظر: التذكار لابن غلبون ص 101، و"ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، ص 240

(5) ينظر: الإشارات ص 15-16.

(6) ينظر ص 237، ولعله يقصد أبا عبد الله محمد المكنّي.

وتشير المصادر التاريخية أنه توفي سنة 1059هـ⁽¹⁾، وأنه قد ولد له أولاد منهم مُجَّد وسالم⁽²⁾، وعبد اللطيف دفين البقيع⁽³⁾.

فأما ابنه سالم فيذكر عبد السلام بن عثمان التاجوري أنه كان رجلاً صالحاً ومن شهرة صلاحه أنه عند وفاته تراحم الناس في حمل نعشه حتى طار في الهواء من أيدي الرافعين له⁽⁴⁾.

وأما مُجَّد فقد تتلمذ على كبار علماء وقته، وقرأ علم الفقه والنحو والتفسير، واشتغل بالتدريس، وأسندت له وظيفة الخطابة والإمامة في الجامع الكبير⁽⁵⁾، وكان أعلم أهل الساحل يعني ساحل طرابلس تولى الفتوى ببلده مرارا ثم اشتغل بالتدريس، وله مشاركة حسنة في فنون كثيرة كما وصفه العياشي⁽⁶⁾.

وقد حفظ لنا عبد السلام بن عثمان التاجوري في كتابه "تذييل المعيار" ببعض من فتاواه⁽⁷⁾. توفي مُجَّد المُكَنِّي قريبا من سنة 1056هـ⁽⁸⁾، ودفن بمقبرة منذر بطرابلس⁽⁹⁾، ولم يخلف إلا ابنا ابنا واحدا اسمه أحمد⁽¹⁰⁾، وسنعرف به في فصل خاص به من هذا البحث، ولأحمد هذا ابنان مُجَّد وأبو عبد الله مُجَّد، وقد نشأ هذان الابنان نشأة علمية في كنف أبيهما إلا أن مُجَّدا أصابه في ريعان شبابه

(1) ينظر: اليوميات الليبية لحسن الفقيه حسن 649/1.

(2) ذكر منصور علي الشريف ابنه مُجَّدا وسالما فقط: ينظر: عائلة المُكَنِّي: أبناؤها وأدوارهم في التاريخ الليبي " ص 58.

(3) بينما ذكر عبد السلام التاجوري أبناءه الثلاثة، ينظر: كتاب الإشارات لبعض ما في طرابلس الغرب من المزارات ص 20

(4) ينظر: كتاب الإشارات لبعض ما في طرابلس الغرب من المزارات ص 2120.

(5) ينظر: أعلام ليبيا للشيخ الطاهر الزاوي ص 327.

(6) ينظر: الرحلة 96/1.

(7) ينظر على سبيل المثال 133/1،

(8) ينظر: الرحلة العياشية 96/1، وفي فتح العلم للتاجوري أن وفاته كانت سنة 1057هـ، وفي التقاط الدرر للقادري 2/122،

2/122، ذكر وفاته سنة 1056هـ، ووهم حين قال: لقيه أبوسالم العياشي، فرحلة العياشي الأولى كانت سنة 1059هـ، أي بعد وفاته بثلاث سنوات، والصحيح أنه التقى بابنه أحمد.

(9) ينظر: كتاب الإشارات لبعض ما في طرابلس الغرب من المزارات ص 20.

(10) ينظر: فتح العلم ص 238، والإشارات ص 20.

مرض الطاعون فتوفي منه سنة 1086هـ⁽¹⁾، وأخوه أبو عبد الله مُحَمَّد فقد عاش وتفقه بمشايق وقته وأصبح مفتي طرابلس بعد وفاة الشيخ مُحَمَّد بن مَقِيل الكبير⁽²⁾ سنة 1101هـ⁽³⁾.

وقد التقى بالعديد من العلماء المغاربة أثناء رحلاتهم إلى الحج منهم الرحالة اليوسي⁽⁴⁾ الذي وصفه بما يدل على فقه الرجل، وقد طلب منها لإجازة نسجها له داخل قصيدة، فرد عليه بقصيدة وطلب من ابنه أبي علي الحسن اليوسي إجازته ففعل⁽⁵⁾.

وكذلك له بنت اسمها منصوره تزوجها تلميذه مُحَمَّد بن مَقِيل سالف الذكر.

ولا شك أن لهذه العائلة فروعا امتدت بعد ذلك بفترة ليست بالوجيزة، لا نعرف متى اختفت بالضبط؟ إلا أن مسجد المَكْنِي لا يزال موجودا وعامرا إلى الآن في حي ابن عاشور بوسط طرابلس.

ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب " عائلة المَكْنِي: أبنائها وأدوارهم في التاريخ الليبي " للكاتب الليبي منصور علي الشريف، فقد أفاد وأجاد⁽⁶⁾.

الفصل الثالث: العلامة أحمد بن مُحَمَّد المَكْنِي

المبحث الأول: ترجمته:

اسمه: أحمد بن الشيخ العلامة مُحَمَّد بن الشيخ عبد الله المَكْنِي التنوخي، أبو العباس⁽⁷⁾.

- (1) ينظر: كتاب الإشارات لبعض ما في طرابلس الغرب من المزارات ص 2120.
- (2) مُحَمَّد بن مَقِيل الكبير، ولد سنة 1054هـ، وتلمذ علي الشيخ أحمد المَكْنِي في أكثر العلوم، كان يقرض الشعر، وتولى الإفتاء الإفتاء بطرابلس بعد ترك شيخه أحمد المَكْنِي لها إلى أن توفي سنة 1101هـ، ومن أشهر تلاميذه عبد السلام التاجوري، تنظر ترجمته في: فتح العليم ص 241-243، والتذكار لابن غلبون ص 182 فتاوى ابن مَقِيل للزريقي؟ وضبطت مَقِيل بهذا الضبط: اعتمادا على الرحلة الحاجية لعلي خشيم ص 109" بقوله: "..... كابن أخته الودود سيدي مُحَمَّد بن مَقِيل، كان الله له في الرحيل والمقيل"، وهذه العبارات أخذها من خلال الرحلة الناصرية.
- (3) ينظر: فتح العليم في مناقب الشيخ عبد السلام بن سليم ص. 243.
- (4) الحسن بن مسعود اليوسي، أبو مُحَمَّد، أخذ عن الشيخ مُحَمَّد بن ناصر وانتفع به وعبد الملك التجموعي وعبد القادر الفاسي الفاسي وجماعة ومن أبرز تلاميذه أبو سالم العياشي وأبو الحسن النوري وأبو عبد الله التازي. له عدة تأليف منها تأليف في الفقه وديوان شعر وفهرسة وغير ذلك، له رحلة سنة 1101هـ، قدم مكة سنة 1102 هـ واجتمع بالأعيان والأفاضل ورجع لبلده وبها توفي سنة 1111 هـ، ينظر: شجرة النور ص 328-329.
- (5) تنظر رحلة اليوسي سنة 1101هـ، ضمن من كتاب ليبيا عبر كتابات الرحالين المغاربة في القرنين 16، 17 م " ص 415 416.
- (6) طبع هذا الكتاب بمركز جهاد الليبيين سنة 2003م.
- (7) تنظر ترجمته في: رحلة العياشي 1/ 96 وما بعدها، وفتح العليم للتاجوري ص 237-241.

ومن الغريب أن العياشي . وهو شيخه . في كتابه "ماء الموائد"⁽¹⁾ "ومن جاء بعده اعتمد عليه في الترجمة كالقادري في كتابيه التقاط الدرر"⁽²⁾ ونشر المثاني⁽³⁾ يذكر أن اسمه مُجَّد.

وأما كتب تلاميذه كابن عبد السلام التاجوري في كتبه الثلاثة: "تذييل المعيار"⁽⁴⁾ وفتح العليم⁽⁵⁾ والإشارات⁽⁶⁾ " وابن غلبون في كتابه التذكار⁽⁷⁾، وأحمد النائب الأنصاري في كتابيه " المنهل المنهل العذب"⁽⁸⁾، ونفحات النسرین والريحان⁽⁹⁾ " وكذلك الرحالة⁽¹⁰⁾ الذين التقوا مع ابنه مُجَّد بن أحمد أحمد المكنِّي فيذكرون أن اسمه أحمد.

مولده: ولد بطرابلس سنة 1042هـ، و نشأ بها، وحضر مجالس العلم والعرفان، وصحب المشايخ ومشاهير الفضلاء من أهل زمانه، وجمع علم الشريعة والحقيقة، ومهر في علوم الفقه حتى صار فقيه عصره، والمشار إليه في مصره.

(1) 96/1.

(2) 238/2.

(3) 355/2.

(4) تكرر اسمه عشرات المرات، ينظر على سبيل المثال: 360/1، 233/2، 283/2.

(5) ينظر: بحث الأستاذ عمار جعيدر الموسوم ب" عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه " ص238، وقد نشر البحث البحث في مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الرابع 2006م.

(6) ص 2120.

(7) ص 181.

(8) ص 264.

(9) ص 115.

(10) على سبيل المثال الرحالة اليوسي حيث قال في رحلته: "ونزلنا بدار محبنا الفقيه الأجل السيد مُجَّد بن أحمد بن مُجَّد الملقب بالمكَّنِّي" تنظر رحلة اليوسي سنة 1101هـ، ضمن من كتاب ليبيا عبر كتاب الرحالين المغاربة في القرنين 16، 17 م " ص 415

شيوخه: تتلمذ على مشايخ وقته، وهل قرأ على أبيهم محمد المكنيسابن الذكر أو لا؟ فأكثر مترجميه يقولون إن أباه قد مات، ولم يأخذ عنه⁽¹⁾ إلا أن تلميذه عبد السلام بن عثمان التاجوري في كتابه "فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم" ذكر أنه قرأ على أبيه قليلاً⁽²⁾.

وقرأ على الشيخ أحمد بن عيسى⁽³⁾ الفقه والنحو والحساب والفرائض، وأخذ ألفية ابن مالك في النحو عن الشيخ يوسف المستغامي⁽⁴⁾، وقرأ على الشيخ أحمد القصري⁽⁵⁾ المنطق والتوحيد، وقرأ الفقه وأصوله على الشيخين أبي الحسن علي بن الشاهد المالكي⁽⁶⁾ وأبي عبد الله محمد المشهور بأبي حافر⁽⁷⁾ وغيرهم، وأخذ كذلك عن أبي سالم العياشي الذي سنفرده علاقته به في مطلب خاص .

وقرأ على الشيخ سيدي محمد بن مساهل الذي تولى إفتاء طرابلس بعد وفاة أبيه الشيخ محمد المكني.

- (1) ينظر رحلة العياشي 491/2 حيث قال: "ومات أبوه قبل أن يستفيد منه".
- (2) ينظر: بحث الأستاذ عمار جحيدر الموسوم ب" عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه " ص238، وقد نشر البحث في مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الرابع 2006م.
- (3) أحمد بن عيسى بن عاشور الغرياني، ولد سنة 1014هـ، وأخذ العلم عن كبار مشايخ وقته منهم الشيخ سالم السنهوري وانتفع وانتفع به خلق كثير منهم الشيخ أحمد المكني والشيخ عبد السلام التاجوري وغيرهما، ت: 1108هـ، ينظر: فتح العليم ص243، والتذكار ص182-183.
- (4) قال عنه عبد السلام التاجوري: أدركت زمنه ولا أعرفه.
- (5) أحمد القصري المغربي، أبو العباس، أخذ العلم في بلده بالمغرب عن كبار المشايخ في وقته منهم الشيخ عبد القادر الفاسي الفاسي والشيخ محمد ميارة، ورحل إلى المشرق فأخذ عن العلماء من أمثال الشيخ علي الأجهوري، وأخذ عنه جلة من العلماء منهم الشيخ المكني والشيخ عبد السلام التاجوري، توفي مقتولا بطرابلس سنة 1098هـ، ينظر: فتح العليم 246، والتذكار ص 180، وفيه اسمه أحمد النصري بنون بدل قاف، وأن وفاته سنة 1099هـ.
- (6) تنظر ترجمته في التذكار ونزهة الأنظار لمقيدش 2/ 446.
- (7) ينظر: التذكار لابن غلبون ص50

رحيله في طلب العلم: ينفي المترجمون⁽¹⁾ أنه رحل في طلب العلم؛ إلا ما تحصل له أثناء أداء فريضة الحج، وقد حج الشيخ أحمد ثلاث مرات من غير الحججة التي كانت مع أبيه في صباه، وفي تلك الحججات كان يلتقي مع العلماء ويميزونه في علوم الشريعة منهم علي الأجهوري وعبد السلام بن إبراهيم اللقاني ومُحَمَّد بن المرابط الدلائي وعبد القادر الفاسي⁽²⁾.

تلاميذه: لا شك أن رجلا مثل أحمد المكني في علمه ومكانته وسيرته ومكتبته لا بد أن يكثر الآخذون عنه من أهل بلده ومن يمرون بها في طريقهم إلى المشرق، وباعتبار أن الشيخ قد تولى التدريس في طرابلس في الجامع الكبير فقد كثر تلاميذه أذكر منهم:
ابنه مُحَمَّد⁽³⁾.

مُحَمَّد بن مَقِيل الكبير المتوفى سنة 1101هـ⁽⁴⁾.

عبد السلام بن عثمان التاجوري، ت: 1139هـ، وقد كان زوج خالته⁽⁵⁾.

أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن جابر⁽⁶⁾.

أحمد بن حسين الشهير بالبهلول⁽⁷⁾.

عبد الله بن غلبونالمصراقي⁽¹⁾.

(1) ينظر: الرحلة العياشية 491/2.

(2) ينظر: بحث الأستاذ عمار جحيدر الموسوم بـ "عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه" ص 238، 239، وقد نشر البحث في مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الرابع 2006م.

(3) مر التعريف في الفصل السابق.

(4) مرت ترجمته.

(5) يعتبر الشيخ أحمد المكني زوج خالته "منصورة"، وقد قرأ عليه القرآن الكريم والأجرومية في النحو وجل سيرة ابن هشام وكثيرا هشام وكثيرا من البخاري وغيرها من العلوم، وقد تولى الإفتاء في مدينة طرابلس، وقد مرت ترجمته.

(6) أحمد بن مُحَمَّد بن جابر النابلي نسباً الطرابلسي منشأً وداراً، أخذ عن والده والشيخ عبد الحفيظ ابن الشيخ مُحَمَّد الصيد والشيخ والشيخ مُحَمَّد المكني والشيخ أحمد بن ناصر الدرعي وغيرهم، ومن أخذ عنه مُحَمَّد بن دومة وعبد الظاهر النابلي وكان موجوداً في سنة 1126 هـ، ينظر: شجرة النور ص 331، نفحات النسرین ص 139.

(7) أحمد بن حسين البهلول الطرابلسي، قرأ أولاً على الشيخ أحمد المكني وأحمد بن عيسى ورحل إلى مصر فقرأ على جلة من المشايخ منهم علي الشيراملسي المصري الشافعي وغيره، ثم رجع لبلده فدرس العلوم الشرعية، وله منظومة حسنة في مدح رسول الله ﷺ، توفي سنة 1113 هـ، ينظر: فتح العليم ص 256.

المبحث الثاني: مع العلامة أبي سالم العياشي

كان أبو سالم العياشي قد التقى بعلماء كثيرين في رحلاته، ومن التقى بهم صاحبنا أحمد المكنّي، ولم تطل مجالسته به إلا أنه لقيه في رحلة الذهاب⁽²⁾ والإياب⁽³⁾.
 وحيث إن الشيخ المكنّي هذا من بيت علم فقد استفاد منه العياشي واستعار منه عدة كتب حيث قال: "لقيته بداره، واستعرت منه المطول لسعد الدين التفتازاني⁽⁴⁾، فأعاره لي.
 كانت له خزانة ليس مثلها لأحد من أهل بلده، ثم استعرت منه بعد ذلك "العضد"⁽⁵⁾ على
 "مختصر ابن الحاجب"⁽⁶⁾ وكان ذلك قرب رحلتنا، فأعاره لي، وكتبت له مع الرسول بيتين، وهما
 [الطويل]:

فمُنُوا به قبل الرحيل لنا كما ** تفضلتم من قبه بالمطول
 فإنكم أهل لكل فضية ** كما أنكم أهل لكل تفضل

المبحث الثالث: فتاواه

معلوم أن منصب الإفتاء أمر عظيم وأن صاحبها قد قام مقام النبي ﷺ في تبليغ الأحكام الشرعية.

وقد شهدت حواضر بلادنا حركة علمية أخرجت الكثير من المفتين لا سيما طرابلس فهي تمثل الحاضرة الكبرى للبلد، وقد تولى منصب الإفتاء فيها علماء كبار تداولوا هذا المنصب إلى وقتنا الحاضر⁽¹⁾.

(1) عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن غلبون، نشأ بمدينة مصراتة الليبية ودرس في طرابلس، وارتحل لتلقي العلم في تونس ومصر، أخذ عن الشيخ أحمد المكنّي والخزشي وعبد الباقي الزرقاني، وأخذ عنه الكثير، ت: 1115هـ، ينظر: التذكار ص 183، أعلام ليبيا ص 234.

(2) ينظر: الرحلة العياشية 96/1.

(3) ينظر: الرحلة العياشية 491/2.

(4) سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني: ت: 791هـ، إمام في علم البلاغة، له عدة كتب منها كتابه "المطول" شرح به متاح العلوم للعلامة سراج الدين يوسف السكاكي، ت: 626هـ، ينظر: كشف الظنون لحاجي خليفة 2/1763.

(5) يقصد به كتاب العلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ت: 756هـ، وهو كتاب شرح به مختصر ابن الحاجب في علم أصول الفقه، ويسمى مختصر ابن الحاجب ومختصر المنتهى، ينظر: كشف الظنون 2/.

(6) مختصر ابن الحاجب كما مر كتاب في علم أصول الفقه اختصر صاحبه أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب، ت: 646هـ، من كتابه "منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل"، ينظر: كشف الظنون 2/.

من بين هؤلاء عالمنا الشيخ أحمد المكني الذي تولى الإفتاء في طرابلس بعد عزل شيخه ابن مساهل سنة 1070هـ، فحمدت سيرته فيها، وظهرت نجايته، وسدد في فتواه حيث انقطع ما اعتاده الناس من الرشوة والهدايا للمفتين، وولي أيضا تدريس الجامع الكبير بطرابلس الذي أصبح فيما بعد يسمى "جامع الناقة"⁽²⁾، وتولى فيه الخطابة والإمامة.

ثم تحلى عن الإفتاء وعزل نفسه سنة 1081هـ، ولم يكن تخليه عن الإفتاء بالأمر السهل؛ لأن الحكام وأهل بلده لم يسمحوا له بذلك فتحيل بالخروج لبيت الله الحرام حاجا حتى يريح نفسه من هذه المهمة الثقيلة فاسحا المجال لتلميذه محمد بن مقيل⁽³⁾.

ولا شك في أن توليه للإفتاء إحدى عشرة سنة كافٍ في أن تكون له فتاوى عديدة فضلا على أنه قد عاش بعد ذلك عشرين عاما أخرى يقرأ العلم ويدرس مختلف العلوم. وهذا الأمر قد جعل تلميذه عبد السلام بن عثمان التاجوري وابن مقيل يجعلان عليه الكثير من الفتاوى والنوازل.

وهذه الفتاوى تتبعتها ونقلتها من كتب النوازل المتوفرة، ولا أقصد بذلك الاستقصاء، وإنما فتح باب للطلبة ليجمعوا له فتاواه حتى يتم طبعها في كتاب مستقل.

وقد حفظ لنا عبد السلام التاجوري كثيرا من فتاواه أجلب في هذه الورقة البحثية نماذج منها مبرزا منها ما أبرزت شخصيته العلمية الفقهية وكذلك حاولت أن أنتقي الفتاوى بحيث تكون شاملة لأبواب الفقه:

أ. إمام يترك زوجته متزينة مع غير محارمها:

(1) ينظر: فتاوى ابن مقيل للدكتور الزريقي ص 27-30.

(2) يشير التجاني في رحلته ص 245 إلى هذا المسجد وينسب بناءه إلى عمرو بن العاص I، وتبعه في ذلك الأستاذ عثمان الكعاك إلى هذا التخمين، إلا أن هناك مقالا للأستاذ عوض الله إبراهيم القاضي نشره بمجلة الهدى الإسلامي بليبيا بعنوان "معالم ليبية جامع الناقة بطرابلس فند هذا التخمين، ورأى أن المسجد قد بني في عهد العبيديين وأفاض في ذلك، ينظر مجلة الهدى الإسلامي العدد الأول السنة الثانية 1963م ص 76.75.

إلا أن التجاني أيضا يذكر مسجدا اسمه المسجد الأعظم قد بناه العبيديون، ويبدو أنه هو المسجد الكبير أو جامع الناقة، ينظر ص 253، وهو ما رجحه الشيخ الطاهر الزاوي في معجم البلدان الليبية ص 94، والأستاذ البلوشي في كتابه تاريخ المسجد في عهد الترك ص 81-82.

(3) ينظر: فتح العليم ص 238-239.

نص السؤال والجواب: " وسئل الشيخ أحمد المكني بما حاصله: إمام يترك زوجته تحتلي متزينة مع غير محارمها ويتركها تقيم في أماكن يستقبح المكث فيها من غير حضور محرم؟ فأجاب: إن أقل من هذا في الخسة يقدح في الإمامة، فضلا عن هذا الذي لا يجوز شرعا، والله أعلم، انتهى من خطه"⁽¹⁾.

ب. إذا عضل اليتيمة زوج أمها فإن للحاكم تزويجها وكذلك جماعة المسلمين: نص السؤال والجواب: " وسئل الشيخ أحمد المكني عن عضلها زوج أمها، وهي بكر يتيمة فجاءها أحد خطبائها برجلين أخوه وآخر، وأخرجوها من بيت زوج أمها وأتوا بها لدار رجل صالح؟

فأجاب بما نصه: إذا كان الأمر كما ذكر فلها أن ترفع أمرها للحاكم الشرعي ببلدها فيزوجها، أو لأهل الخير والصلاح إن لم يحكم حاكم، ولا كلام لزواج أمها المذكور، وأما وجوب الاستبراء فلا أعلمه، والله أعلم"⁽²⁾.

ج. ما أعطاه الأب لابنه من الحلي هل يحسب ضمن الصداق؟ نص السؤال والجواب: " وقد رأيت للشيخ أحمد المكني في أب تحمل بصداق زوج ابن له بالغ وحلاه حليا، ثم مات، فإن الحلي يحسب فيما تحمل به من الصداق وفي السؤال أنها حازته في حياة الأب نحو ثلاثة أعوام"⁽³⁾.

د. ما يعطيه الزوج لزوجته كل عام من الكسوة فتوفره فأراد الورثة دخولهم فيه: نص السؤال والجواب: " وسئل الشيخ أحمد المكني بما حاصله: زوجة يعطيها زوجها كل عام صوفا تصنعه لكسوتها فتوفره، فلما مات أراد الورثة الدخول فيه، وعن عقد جوهر ادعت هي أنه لها، وادعى الورثة أنه لمورثهم؟

فأجاب: بما إذا كان الأمر كما ذكر فليس للورثة المذكورين محاسبة الزوجة المذكورة بما أعطاه زوجها في كسوتها، والقول للمرأة فيما يعرف للنساء بيمين، والله أعلم، انتهى من خطه"⁽⁴⁾.

(1) 360/1.

(2) 233/2.

(3) 283/2، وهذه المسألة قد نص عليها ابن أبي زيد في نوادره 422/4.

(4) 287/2.

هـ . رجل طلق زوجته خلعا ثم مشى ورجع وقال: هي طالق أربعين: نص السؤال والجواب: " وسئل الشيخ أحمد المكني بما حاصله: رجل طلق زوجته طلقة خلعية ثم مشى ورجع فقبل له كمل، فقال: هي طالق بأربعين طلاقا؟ فأجاب: إذا كان الأمر كما ذكر فلا تلزمه إلا طلقة الخلع الأولى، وله مراجعتها برضاها وعقد جديد، والله أعلم "(1).

و . من طلق زوجته طلقتين وأراد مراجعتها: نص السؤال والجواب: " وسئل الشيخ أحمد المكني عن من طلق طلقتين؟ فأجاب: إذا لم يتقدم له فيها طلاق من غير الطلقتين فله مراجعتها، لكن إذا خرجت من العدة وكان خلعا فلا بد من رضاها وعقد جديد، والله أعلم "(2).

ز . هل للزوجة الامتناع عن السكن مع ضربتها وأقارب زوجها؟ نص السؤال والجواب: " وسئل الشيخ أحمد المكني ... عما يظهر من الجواب فأجاب: للزوجة الامتناع من السكني مع ضربتها ومع أقارب زوجها إلا برضاها إلا الوضعية مع الأقارب فقط، والله أعلم "(3).

ح . من أنفق على والدته على أن يرجع عليها في مالها بموافقتها: نص السؤال والجواب: " ثم سئل عما حاصله: ابن قام يضحى على والدته سنين، وهي تقول أحسب ذلك من منابي في زوجي، هل له محاسبة ورثتها بذلك؟ فأجاب: إذا كان الأمر كما ذكر، ولم يكن ذلك على وجه الصلة فإن ورثتها يحاسبون بذلك من حصتها، انتهى من خطه "(4).

ط . مسألة إذا باع واشترط أنه في حالة عدم الدفع لا يكون يباع: نص السؤال والجواب: " وسئل الشيخ أحمد المكني ... بما حاصله: إنسان باع لآخر شيئا بأجل، واشترط عليه إن لم يدفع له الثمن في الأجل فلا يبيع بينه وبينه ولفظ ذلك على ما في السؤال:

(1) 386/2

(2) 392 /2

(3) 462/2

(4) 462/2

إن دفعت إلي غدا مائة ريال وبعد خمسة عشر يوما دفعت إلي الباقي أنا بعت لك وإن كان أنت ما دفعت إلي شيئا ما صار بيع بيننا ثم انصرم الأجل ولم يدفع.

فأجاب بما نصه بعد الصدر: هذه المسألة جعلها صاحب القوانين من أمثلة ما يصح فيه البيع ويطل الشرط، وعليه فيلزم المشتري دفع الثمن ولا يفسخ البيع، والله أعلم انتهى.

علق عليها عبد السلام التاجوري بقوله: "ولعل هذا وقع بعد عقد البيع بينهما والله أعلم"⁽¹⁾.

ي . حكم شراء العملة قبل إبطال الفلوس:

نص السؤال والجواب: " وسئل الشيخ أحمد المكني ٥ عن ثلاثة تشاركوا في بيع صوف أثلاثا بينهم فقبضوا جل ثمنها فلوسا والفلوس وقع فيها الكلام، ولم يبطل التعامل بما فقال أحدهم لصاحبه الذي بيده الفلوس: اشتر مني نايب منها الذي هو كذا وكذا، عدد معلوم، فاشتره بثمن معلوم من الفضة فبعد ثلاثة أيام بطل التعامل بالفلوس فهل يصح البيع بينهما ولا كلام لأحدهما أم لا؟

فأجاب بعد الصدر بما نصه: إذا صع بيعها قبل بطلان التعامل بما فلا رجوع لمشتريها بعد ذلك، والله أعلم"⁽²⁾.

ك . حكم من ساعد أباه في خدمته حتى زادت أمواله هل يكون شريكا له أم لا؟

نص السؤال والجواب: " وسئل الشيخ أحمد المكني عن رجل له ابن كبير يخدم معه، ويقوم بكثير من مصالحه من حرث وحصاد وغيرها وقد زاد ما بيد الأب واشترى الأملاك مما حصل له بخدمة ابنه، ثم لما مات الأب طلب الابن أن يكون شريكا لأبيه فيما زاد بخدمته، فهل يثبت له شركة مع أبيه فيما زاد بخدمته أم لا يكون له إلا كراء مثله؟ أم كيف الحال؟ جوابكم، ولكم الأجر.

فأجاب بعد الصدر بما نصه: لا يثبت للابن مشاركة في مال أبيه بسبب خدمته له وقيامه بمصالحه متى زاد ماله وتما ويكون له قيمة منافعه في الخدمة، هذا ما يقتضيه كلام صاحب المعيار في نحوها، والله أعلم كتبه عبيده أحمد بن محمد المكني، عفا الله عنهما آمين، انتهى"⁽³⁾.

(1) 67/3.

(2) 121/3.

(3) 261-260/3.

ل . حكم المغارسة في الأرض الموقوفة وإذا جرى بها العمل:

نص السؤال والجواب: " وسئل الشيخ أحمد المكني عن مغارسة في حبس، تركنا لفظه لطوله، فأجاب بما نصه بعد الصدر، وبعد فقد صدر لكم منا الجواب في هذه النازلة هذه المرة وقبلها، بحيث تكرر ذلك مرارا، وحكم الله فيها لا يخفاكم، والآن أنت نائب الحاكم الشرعي هناك والذي يظهر لي في مسألة مغارسة سيدي عبد الرحمن التي وقفت عليها بيد حامل السؤال، أن تحكموا فيها بالصحة إذ هو قول في المذهب بعد الوقوع والنزول، وقوي هنا فجعل المحبس النظر فيها لمن ذكر، وفي إعطائها مغارسة إلخ، ما هو مذكور بعقد الحبس، وأيضا الظاهر لفظه أن ذلك مما جرى به العمل في بلدكم، وهذا موجب يقوي به القول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" (1).

المبحث الرابع: مؤلفاته

سبق أن ذكرنا أن لعائلة المكني مكتبة كبيرة يدل على ذلك ما استعاره العلامة العياشي من الشيخ أحمد المكني حيث قال: " لقيته بداره، واستعرت منه (المطول) لسعد الدين، فأعاره لي وكانت له خزنة ليس مثلها لأحد من أهل بلده، ثم استعرت منه بعد ذلك (العضد) على (مختصر ابن الحاجب) وكان ذلك قرب رحلتنا، فأعاره لي" (2).

وكذلك ما ذكره عبد السلام التاجوري من أنه رأى في مكتبة المكني كتابا لأحد علماء طرابلس ألفه في مرآته للنبي - ﷺ - (3).

كذلك ما حكاه عنه من أن الشيخ أحمد المكني قد طلب منه أحد علماء طرابلس كتاب حكم ابن عطاء الله ففتح خزنة الكتب غير مستحضر كونه بما فأول ما وقعت يده على مجموع هو به فأعطاه له فقراً فيه تلك الليلة ثم رده.

ومع ذلك فقد كان مع هذه المكتبة العامرة ومع جودة نثره ونظمه قليل التأليف لم يكمل تأليفا إلا كتابا ردّ فيه على الإباضية من أهل جبل نفوسة وأتى فيه بفوائد نفيسة، أسماه " شكر المنة في الانتصار لأهل السنة" (4).

(1) 86/3.

(2) ينظر: الرحلة العياشية 97/1.

(3) الإشارات ص 15.

(4) ينظر: بحث الأستاذ عمار جحيدر الموسوم ب" عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه " ص 240، وقد نشر البحث في مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الرابع 2006م.

وكذلك كتاب صغير الحجم موسوم بـ"فتوى فيمن رمى زوجته بالزنا ولم يثبت ذلك عليها"⁽¹⁾.

وفاته:

توفي سنة 1101هـ⁽²⁾، عن تسع وخمسين سنة، وقُبر عند قبر أبيه وأعمامه بمقبرة سيدي منذر ظاهر مدينة طرابلس⁽³⁾.

الخاتمة:

لقد سخر الله لنا أبا سالم عبد الله العياشي فحفظ لنا كثيرا من تاريخنا، بل جعل المؤرخين يعتمدون على رحلته، فلم تكن رحلات أبي سالم العياشي المتكررة إلى الحجاز ومكثه بليبيا مجرد عبور، بل كانت مشاركة لعلمائها وفقهائها فأثر وتأثر بواقعها الثقافي، وكوّن هذه الشهادة التي جعلت من جاء بعده يعتمد عليه.

وكذلك أسهم لنا العياشي . عليه رحمت الله تترا في تكوين جيل من العلماء من أمثال الشيخ أحمد المكني وغيره.

وهذا التأثير العلمي المتين جعل الشيخ المكني يتبوأ هذه المنزلة، ويصل مكانة إمام الفتوى في بلده، وتتجمع حوله العديد من التلاميذ كالشيخ ابن مقبل والشيخ عبد السلام التاجوري الذي حفظ لشيخه وغيره فتاواه في كتابه تذييل المعيار.

والله نسأل أن يرحم الجميع ويغفر لنا ولهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) ينظر: فهرس المخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 81/2.

(2) وسجل القادري في نشر المثاني 355/2 وفاته عام 1099هـ..

(3) ينظر: بحث الأستاذ عمار جحيدر الموسوم بـ" عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه " ص238، وقد نشر البحث في مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الرابع 2006م.

المصادر والمراجع

- أحمد بك بن الحسين النائب الأنصاري
- المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات دار الفرجاني، طرابلس.
- نفحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تقديم وتعليق: مُجَّد زينهم مُجَّد عزب، منشورات دار الفرجاني، طرابلس.
- الأزهري [مُجَّد البشير ظافر الأزهري]
- اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، طبعة الملاحي العباسية، القاهرة، 1334هـ.
- إتوري روسي
- ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، ترجمة خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، الطبعة الثانية 1991م.
- الإفرائي [مُجَّد الحاج بن مُجَّد بن عبد الله]
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، المركز الثقافي المغربي / الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م.
- التاجوري [عبد السلام بن عثمان، ت: 1139هـ]
- الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات، منشورات مكتبة النجاح، طرابلس / ليبيا.
- تذييل المعيار، تحقيق: جمعة الزريقي، الطبعة الأولى، 2008م.
- فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم من خلال

- بحث " عبد السلام بن عثمان التاجوري وتراجم شيوخه للأستاذ عمار جحيدر، وقد نشرته " مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الرابع 2006م.
- التازي [عبد الهادي: معاصر]
- أمير مغربي في طرابلس للوزير الإسحافي.
- التجاني [عبد الله بن مُجَد: ت: 721هـ]
- رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981م.
- التمكروني [علي بن مُجَد]
- النفحة المسكية في السفارة التركية، تحقيق مُجَد الصالحي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي - الإمارات، الطبعة الأولى، 2007م.
- جمعة الزريقي [معاصر]
- فتاوى العلامة الشيخ مُجَد بن مُجَد بن مَقِيل الكبير، ت: 1101هـ، دار الإفناء الليبية، الطبعة الأولى 1434هـ. 2013م.
- حاجي خليفة
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصوير مكتبة المثنى ببغداد للطبعة العثمانية.
- حسن الفقيه حسن
- اليوميات الليبية، تحقيق مُجَد الأسطى، عمار جحيدر، منشورات مركز جهاد الليبيين /طرابلس، الطبعة الثانية 2001م.
- الحسيني [مُجَد خليل بن علي، ت: 1206هـ]
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988م
- الحضيكي [مُجَد بن أحمد]
- الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق عبدالعالي لمدير، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م.
- خير الدين الزركلي [معاصر]
- الأعلام، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الخامسة 1980م.

- ابن أبي زيد القيرواني [عبد الله بن عبد الرحمن، ت: 386هـ]
- النوارد والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق /الدكتور مُجَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م.
- سعد زغلول عبد الحميد، ومعه مجموعة من العلماء.
- ماء الموائد، العياشي، الرحلة، ليبيا/طرابلس وبرقة، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية.
- الطاهر أحمد الزاوي [معاصر]
- أعلام ليبيا، نشر دار الفرجاني، الطبعة الثانية، 1390 هـ / 1971م.
- ابن غلبون [مُجَّد بن خليل]
- التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، نشر وتعليق الطاهر الزاوي، القاهرة، 1939م.
- القادري [مُجَّد بن الطيب، ت: 1187هـ]
- التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق: هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ. 1983م.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى 1407هـ، 1986م.
- عادل نويهض [معاصر]
- مُعجَمُ أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1400 هـ - 1980م.
- علي فهمي خشيم [معاصر]
- الحاجة من ثلاث رحلات في البلاد الليبية، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية، 2008م.
- علي مسعود البلوشي [معاصر]
- العياشي [عبد الله بن مُجَّد، ت: 1090هـ]
- ماء الموائد، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، 2011م
- الحجية الصغرى، تحقيق: عبد الله بن حمادي الإدريسي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى 2013م.

- اقتفاء الأثر
- ابن عيشون [مُجَّد بن الشراط ت: 1109هـ]
- الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1997م.
- القاضي عياض [ابن موسى بن عياض، ت: 544هـ]
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق / سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى 1403هـ. 1983م.
- مُجَّد مُجَّد مخلوف
- شجرة النور الزكية، تصوير دار الكتاب العربي بيروت لطبعة المكتبة السلفية سنة 1349هـ.
- الكتاني [مُجَّد عَبْدَ الْحَيِّ بن عبد الكبير الحسيني الإدريسي، ت: 1382هـ]
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات
- مُجَّد الحراري عبد السلام [معاصر]
- ليبيا عبر كتابات الرحالين المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، الطبعة الثالثة 2008م.
- محمود مقيدش
- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري، مُجَّد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.
- منصور علي الشريف [معاصر]
- عائلة المُكَنِّي: أبنائها وأدوارهم في التاريخ الليبي، منشورات مركز جهاد الليبيين، الطبعة الأولى 2003م.
- **المجلات والموسوعات:**
- فهرس المخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الطبعة الأولى 2004م.
- مجلة الهدى الإسلامي، طرابلس - ليبيا، السنة الثانية، العدد الأول، 1963م.
- معلمة المغرب: تأليف مجموعة من علماء المغرب، من إنتاج الجمعية المغربية للنشر والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1981م.

